مجلة أبعاد
مجلد 10، العدد 02، 2023
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

الفلسفة والأزمات: أزمة العدمية، أزمة المعنى، أزمة القيم، أزمة العلوم، أزمة المصير الإنساني. "أزمة المعنى والقيم والمصير الإنساني"

Philosophy and crises: the crisis of nihilism, the crisis of meaning the crisis of values, the crisis of science, the crisis of human destiny

صادق جباري*
فلسفة
كلية العلوم الاجتماعية،جامعة وهران 2 أحمد بن محمد - الجزائر
sadekd6@gmail.com

****

تاريخ الإرسال: 2022/06/17	تاريخ القبول: 2023/04/18	تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص: إن المتتبع للمسار الفكري الفلسفي يلاحظ بأن الفلسفة أو الإنسان برمته يعيش أزمات، ومنذ ظهور الفلسفة رادفتها أزمات شتى متعددة ومتنوعة. وإذا قلنا إن لكل عصر أزماته بداية من أزمة سقراط ثم أزمة أبن رشد إلى أزمات القرن 21. في الحديث عن أزمات القرن 21 والذي يعتبر أكثر القرون تأزما بفلسفته لما شهدته البشرية من تكوين اللامعنى القيمي الذي نخر المصير الإنساني وهدد وجوده البيولوجي والماهوي. تكمن أزمات القرن 21 في تغير مسار الفكر الإنساني وأزمة المعنى وعلومه مع إدموند هوسرل وأزمة العلوم الأوربية، مع فريديريك نيتشه وموت الإله (الأساس القيمي الميتافيزيقي)، وأزمة المصير الإنساني مع جون بول سارتر وميشال فوكو ومارتن هيدغر.

ومن هذا المنطلق نتساءل: ما الازمات التي واجهت القرن 21م حتى سمي بقرن الأزمات؟ ما دور الفلسفة فيها؟ وما الآليات التي اتخذتها في السعي لمعالجة هذه الأزمات؟ هل يمكن الحديث عن تجاوز لأزمة المصير الإنساني أم أن الازمة تبقى لصيقة به؟

الكلمات المفتاحية: أزمات؛ المصير الإنساني؛ القيم؛ العدمية؛ اللامعنى؛ تاريخانية الفلسفة.

Abstract

The follower of the philosophical intellectual path notes that philosophy or the entire human being is experiencing crises, and since the emergence of philosophy it has been accompanied by various and varied crises. And if we say that every era has its crises, starting with the crisis of Socrates, then the crisis of Ibn Rushd, to the crises of the 21st century.

* المؤلف المُرسل: sadekd6@gmail.com

In talking about the crises of the 21st century, which is considered the most tense century in its philosophy, as humanity witnessed the formation of the meaningless value that destroyed the human destiny and threatened its biological and essential existence.

The crises of the 21st century lie in the change of the course of human thought, the crisis of meaning and its sciences with Edmund Husserl, the crisis of European sciences, with Friedrich Nietzsche and the death of God (the metaphysical value basis), and the crisis of human destiny with Jean-Paul Sartre, Michel Foucault and Martin Heidegger.

From this standpoint, we ask: What crises faced the 21st century AD, which was called the century of crises? What is the role of philosophy in it? What mechanisms have you taken in seeking to address these crises? Is it possible to talk about overcoming the crisis of human destiny, or does the crisis remain attached to it?

Keywords: Crises; human destiny; values; nihilism; meaninglessness; historical philosophy.

1. مقدمة:

منذ طلوع فجر الفلسفة فيما قبل الميلاد والإنسان يتفاجأ من الأشياء اللا اِعتيادية والأمور الغريبة والتي كانت تبدو له غضب الطبيعة - وهي مرحلة من مراحل التفكير - وتغيره من الأسطورة الى العقلانية، وهذه بحد ذاتها أزمة من أزمات المصير الإنساني.

إن المتتبع لتاريخ الفلسفة لابد وأن تصادفه مجموعة من الإشكالات والتي غالبا ما يراها عويصة وبهذا تصل لمفهوم ما يسمى بالأزمة، وبما فالفيلسوف هو ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها، ومن هنا ظهر ما يدعي لظهور أزمات على الأصعدة الفكرية ليحق لنا التساؤل: ما هي أزمات القرن 21وما دور الفلسفة فيها؟ وما أزمة المعنى؟ وما أزمة القيم؟ وما أزمة المصير الإنساني؟

2. الأزمة: المفهوم والغاية من المصطلح:

تعني الأزمة في اللغة العربية الجدب والقحط والضيق والشدة التي تنتج عن انحباس المطر وبالتالي الفقر والمجاعة وقد تعني الضائقة في كل شيء من تكاليف الحياة.

ومصطلح الأزمة (Crises) مشتق من الكلمة اليونانية (Krisis) والتي تعني لحظة القرار، وهي بالصينية مكونة من حرفين يرمز الأول للخطر والآخر يرمز للفرصة. وتشير كلمة الأزمة الى لحظة مصيرية أو زمن مهم، كما تشير الى معنى التغيير المفاجئ وفي الغالب نحو الاسوأ. وفي الحضارة الإغريقية القديمة فإن الأزمات هي مواقف تحتاج الى صناعة القرار، والأزمات تشكل نقط تحول تاريخية حيث تكون الخيارات والقرارات الإنسانية

قادرة على إحداث تغييرات أساسية وجوهرية في المستقبل. (غسان قاسم داوود اللامي، خالد عبد الله إبراهيم العيساوي، 2019، ص11).

3. أزمة المعنى والقيم والمصير الإنساني:

1.3 ازمة المعنى:

يعتبر الفلسلوف الألماني ايدموند هوسرل من أوائل من تنبه لمفهوم أزمة المعنى من خلال كتابه "أزمة العلوم الأوربية الفينومينولوجيا الترسندنتالية" يقول فيه مجيبا عن معنى أزمة العلم: " إن أزمة علم ما لا تعني سوى أن علميته الحقة، أي الكيفية التي حدد بها مهمته وأنشأ بها المنهجية الكفيلة بإنجاز هذه المهمة، أصبحت بأكملها موضع سؤال" (ادموند هوسرل، 2008، ص42). وبهذا فإن الأزمة تتولد عندما لا يقوم العنصر بدوره المنوط به كما وجب سابقا، في انحداره عن المساق الذي وضع لأجله. وللمعنى هنا وقفة جلية ومهمة.

فإذا تتبعنا المسار الفكري الفلسفي فإن الفلسفة في وقتنا الراهن والحاضر تعيش ريبة (أي الارتياب الذي شهدته الرياضيات في عدم اللايقين)، فلقد وقف هوسرل ضد النسبية والارتياب اللتان أصبحتا صفة لصيقة بكل معنى ومفهوم مؤكداً على وجود حقائق مطلقة نصل اليها بتخيلنا عن معطيات العلوم التجريبية " فالرغبة في إقامة البرهان وصحة الأفكار أو عدمها اعتمادا على الوقائع ليست إلا هراءاً فارغا" (جماعة من الأساتذة السوفيات، 1989، ص634).

وإذا كانت الفلسفة هي فن صناعة المفاهيم كما عبر عنها جيل دولوز فإن الأزمة تكمن في المعنى المتخذ، وبهذا شكّل المعنى أزمة في المسار الفلسفي والمسار الحياتي للإنسان المعاصر انطلاقا من تعريف الفلسفة والذي نجد له شتى تعريفات جعلت منها أساس ازمة القرن 21.

تعرف الفلسفة على أنها المعرفة الكلية المطلوبة، وتعرف أيضا على أنها علم المبادئ الأولى لظواهر الوجود، وتعرف كذلك أنها وجهة نظر عقلية اتجاه موقف ما وظاهرة معينة في حياة الإنسان. فالفيلسوف هو من يثير المشاكل وهو الملحد وهو الكافر وهو المؤمن وهو المتصوف، وهو المتمرد على فكر قومه وحضارة مجتمعه. "البشر اليوم قد

سلموا لحاضر أبدي منفصل لا يحده شيء، فلم يبق سوى العيش في العالم المحروم من الله والتاريخ والعدالة"

(Jean-François Mattei, la crise du sens, Nantes Éditions Cécile Défaut, 2006).

أصبح المعنى أزمة بحكم أنه عرقل مسار حركة الفلسفة لأن هذه الأخيرة تختلف بإختلاف فكر ونسق الفيلسوف، فكل فيلسوف وله المعاني والمصطلحات الخاصة به، ولهذا فكل فيلسوف فلسفته وليس لكل رياضي رياضته الخاصة.

لق أسست حداثة الفلسفة لضياع وجهة الفهم وهنا يضيع معه المعنى، مضفية صورة جديدة للعلم تغيرت معها كل ألوان الصورة فالسماء خضراء والبحر أسود والطبيعة رمادية وغيرها، ونقصد بهذه المفردات الحرية الدينية (اللادين) والحرية الجنسية (المثلية) وتعدد اللغة وظهور اللا قيّم وتغير معانيها. "إنها أبداً بلا وزن ولا قياس، فهي العدم، إنها نقطة رمادية لا بيضاء ولا سوداء، لا هي ساخنة ولا باردة، لا هي فوق ولا تحت إنها نقطة بدون بعد، تائهة بين الأبعاد"

(henri maldiney: REGARD/parole/ESPACE ed. l age Homme P.151)

وفي المُناظرة الممتازة التي أذاعتها إذاعة الـ BBC بين القِس كوبليستون والفيلسوف برتراند راسِل سنة 1948. سُئِلَ راسِل عمّا إذا كان يوافق سارتر القول بأنّ "الحياة بلا مُبرِّر" فأجاب: لا أقول هذا، فلهذا دلالات أخرى، أنا كلّ ما أقوله أنّ الكون وُجِد وفقط .

أمّا ريتشارد دوكنز ففي إحدى مُحاضراته المُتاحة على اليوتيوب فقد وقف أحد الحاضرين وسأل دوكنز: كلّ ما تقوله جميل، ولكن يظلّ عندي سؤال كمُلحِد: ما هي الغاية من وجودي إذًا؟ فأجابه دوكنز إجابة دبلوماسية، مفادها: أنّ علينا ألاّ نعبأ بهذا النوع من الأسئلة (وهو سؤال طبيعي ووجداني لأي كائن بشريّ) وأنّ مِثل هذه الأسئلة لا قيمة لها ولا فائدة من إجابتها.

يتعاظم سؤال الجُدوى في ظلّ مناخ معيشيّ يغلب عليه التفكير المادي والاقتصادي وهذا النوع من التعاظم من أهم الأزمات التي تعيشها البشرية، إذ أنّ قيمة الأشياء وقيمة الأفعال تتحدّد بمقدار ما تعود على فاعلها أو صاحبها بمردود حقيقيّ وملموس. ويخترق هذا المَناخ أنماط التفكير على مُستوى الذات والقِيَم، فما هي جدوى وجودنا نحن البشر؟

نحن الذين نفنى ونموت بالآلاف بقُنبلة واحدة! ما قيمة أن نبني منازلنا وأن نُؤسّس شركاتنا وأن نُكوّن عائلاتنا إذا كانت مُعرّضة للزوال بلمح البصر، فقط نتيجة خلاف

لفظي بين رؤساء دُوَل؟ ما قيمة الكَرَم مثلًا؟ ما قيمة أن تُعطِي بلا مُقابل؟ أليس الخُسران هو النتيجة الحتمية لأيّ عطاء ماديّ لا يُقابله مردود بقيمة ما أنفقنا أو أكثر! فقد أصبحت هذه القيم لا جدوى بين المصالح المادية التي تأخذ بقيمة الحياة.

إنّنا نجدُ أنفُسَنا في مواجهة قاسية وحادّة مع مسألة المَعنى، أو بالأحرى، مع أفول المَعنى، في عالَم مُعلمَن إلى أقصى حدود. وُيُعبّر لوك فيري عن هذا بقوله: "فإذا لَم تَعُد هُناك الديانات الكُبرى تُلائم أزمنتنا العَلمانية والديمقراطية، أو تفقد فيها فاعليتها، فالمُعضلة تكمن، في أنّنا كفلاسفة لم نخترع أي شيء يُمكن أن يقوم مَقامها بشكل مقبول".

كيف الرِضى في عالَم صار فيه الفَرد أخيرًا ذاته المُستقلّة؟ هكذا يتلاشى بمُساعدة صعود الفردانية، الشعور الذي بحسبه يُمكن لمعنى الحياة أن يتأسّس .فهل يُمكِن لأخلاقياتنا الخالية مِن كُلّ تعالٍ أن تُعوّض هذا الاختفاء الإلهيّ؟ نحن أمام عالَم يستنفد فيه أُفق المُستقبل حقل الدلالات والقِيَم، لقد أضحى الوجود مُغطىً باللامعنى، وخيّم فراغ معنويّ عام على الذات البشرية والتي فقدت قيمتها التي بنتها عبر الأزمنة.

من المُؤكّد أنّ هُناك شعور نسبيّ بالفراغ، مُرتبط بنُيويًا بطبيعة العالَم العَلمانيّ الذي نعيشه. فنحن بإمكاننا أن نعيش في مجتمعاتنا الحديثة دون أن نطرح على أنفسنا التساؤلات والمُشكلات الجوهرية فترة طويلة من الزمن.

لقد نشأ عالمُنا العَلمانيّ والديمقراطيّ اليوم على أسس قطيعة أساسية مع الدين، موت الإله بتعبير نيتشه، نزع السحر عن العالَم بتعبير فيبر، نهاية اللاهوتيّ-السياسيّ بتعبير كارل سميت. دَنيوة وعَلمَنة الحياة بتعبير كازانوفا ومُنظّرو العَلمَنة، عصر عَلمانيّ بتعبير تايلور. انهاء الحياة بتطور ظاهرة الانتحار والتخلص من المعاناة الحياتية وظهور مفهوم الخلاص بتعبير العامة.

كُلّها تأويلات مُتعدّدة للواقعة نفسها. لقد حدث عالَم عَلمانيّ، لَم يعد فيه الإيمان بوجود الله يبني فضاءنا السياسيّ ومجالنا العام. ليس لأنّ هذا الإيمان كما يُؤكّد غوشي قد اِختفى كُلّيًا، وإنّما لأنّه صار بالنسبة لأغلبنا شأنًا شخصيًا وممارسة شعائرية مُؤقّتة لا تلبي حاجيات الفراغ المادي الذي يعايشه الإنسان في وقته الحاضر.

2.3 أزمة القيم والمصير الإنساني:

جاء في لسان العرب القيم هي الاستقامة والاعتدال. وتعرف الدراسة العامة للقيم بإسم علم القيمة أو الأكسيولوجيا وهي تعنى بثلاث مسائل رئيسية ذاتية وموضوعية القيم، وتغير وثبات القيم، وسلالم القيم المتدرجة. (أبن منظور).

وتعتبر القيم مبحثا مستقلاً من مباحث الفلسفة مثل الخير والشر والفضيلة والتسامح، وهذه القيم لها مدلولها التاريخي، فعلى سبيل المثال لا الحصر فإذا أردنا الخوض في معنى العنف لوجدناه يعود لقتل قابيل هابيل.

كتب الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون سنة 1901 متنبئا:" إن المهمة الرئيسية لعلم النفس في هذا القرن الجديد الذي ينفتح أمامنا ستكون هي اكتشاف اللاشعور والعمل على سبر أغوار النفس بواسطة مناهج خاصة وملائمة، ولا أشك في أن هناك اكتشافات رائعة تنتظره، وقد لا تقل أهمية عن تلك التي تحققت في القرون الماضية في ميادين العلوم الفيزيائية والطبيعية." لقد كان الطرح واضحاً من برغسون على أن كل الاكتشافات النفسية والتي تلحقها إلا أنه لم يلغ فكرة وجود اكتشافات أكثر وأكبر ولا تقل أهمية عن البحوث النفسية.

في قيم الفضيلة فإن تغيرها مع تغير الزمان والمكان ولا محالة أن في الآونة الأخيرة فإننا نلمس اندثار عديد القيم واضمحلالها في نهر القرن ال21. وإذا أردنا أن نركز على مفهوم التعاون كمثال لا الحصر نطلق على شخص تقدم له معلومات جاهزة في امتحان على أنها مساعدة وفي الحقيقة هي غش.

يختلف الإنسان المعاصر عن الإنسان القديم في عديد الأمور وأغلبها ولو وضعنا صورتين لإنسان من قرون ماضية وانسان من القرن 21 لوجدنا الاختلاف بارزاً جلياً فكل ما كان يمثل الفضيلة سابقاً والأخلاق تغير مع مرور الزمن فقد تآكلت هذه المفاهيم كما يتآكل الحديد بفعل العوامل والسنون.

إذا نحن الآن نعيش أزمة قيم مترامية الأطراف القت بظلالها على المصير الإنساني متمثلة في أكبر أزمة عرفها في هذا القرن ألا وهي أزمة كورونا (covid19) مقسمة العالم الى قسمين كما عبر عن ذلك الدكتور مصطفى محمود حيث يقول: "" لو انتشر فيروس قاتل في العالم وأغلقت الدول حدودها وانعزلت خوفا من الموت المتنقل ستنقسم الأمم بالغالب إلى فئتين فئة تمتلك أدوات المعرفة تعمل ليلا ونهاراً لاكتشاف العلاج والفئة

الأخرى تنتظر مصيرها المحتوم، وقتها ستفهم المجتمعات أن العلم ليس أداه للترفيه بل وسيلة للنجاة".

ويقول يوفال نوح هوراري: "إن لدى الإنسانية كل ما تحتاجه لإحتواء وهزيمة الوباء فنحن لسنا في العصور الوسطى وهذا ليس الطاعون الأسود، فالأمر لا يتعلق بأناس يموتون وليس لدينا فكرة ما الذي يقتلهم وما الذي بوسعنا فعله حيال ذلك"

إن أزمة المصير الإنساني والتي قال بها الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو من خلال موت الإنسان. فقد اعتبر فوكو أن الانسان لا محالة سوف يموت، وهنا لا نتكلم عن الموت البيولوجي، بل الموت الماهوي، أي سوف يشيأ الإنسان ويصبح أداة ووسيلة وشيئا من الأشياء، وأزمة موت الاله مع نيتشه والتي عبر من خلالها أن فكرة الاله لدينا قتلناها وهي في حذ ذاتها أزمة نتج عنها الإلحاد واللادين.

يقول نيتشه في كتابه العلم المرح: " أين الإله؟ صاح فيهم: أنا سأخبركم! لقد قتلناه – أنتم وأنا! نحن جميعًا قتلة. مات الإله! ويظل الإله ميتًا! ونحن من قتلناه! كيف يمكننا أن نعزي أنفسنا، نحن أكبر القتلة؟ إن أقدس وأعظم ما اِمتلكه العالم قد نزف دمه حتى الموت بطعنات مُدانا. من سيمسح هذه الدماء عن أيدينا؟ أي ماء سيطهرنا؟ أية مراسمٍ تكفيرية، أية ألعابٍ مقدسةٍ يجب علينا أن نبتكر؟ أليس عِظَم هذه الفعلة شيئًا يفوق طاقتنا؟ ألا يجب علينا أن نصير نحن أنفسنا آلهة لمجرد أن نبدو جديرين بهذه الفعلة؟".

يصير الإنسان إله نفسه من خلال قتله فكرة الاله فهو الذي يقرر الخير وحده ويقرر الشر وحده وبهذا يكون هو المرجع والمصدر وبها يخلق أزمة تواصل وانسجام وأزمة تفكير ان صح القول بما أن الفلسفة نحت لمفاهيم فإن المعنى لا يحقق دوره في ظل تعدد للتأويلات والمفاهيم.

وقد عبر سارتر عن أزمة المصير الإنساني من فكرة مؤداها أن الإنسان مشروع حياة لابد أن يكون أولا ثم بعد ذلك يقر مصيره بنفسه ما نتج عنها إعطاء حياة بلا معنى وظهور الانتحار والاكتئاب (مارلين مونرو) وعدم الرضا عن النفس.

في السياق نفسه تحدث هيدغر عن الأزمة من خلال الدزاين فعندما سئل ما مفهوم الانسان؟ أجاب أن الإنسان لحظة موته. وبهذا فإن الإنسان مهما عاش ويحيا لا قيمة لحياته إلاّ بعد أن يغادرها متمثلة في أزمة المصير بطرح سؤال جوهري الى اين؟ يقول

مارتن هيدغر: "فإذا أمسك المرء بهذا التأويل الأنطولوجي الوجداني لمفهوم المعنى من أساسه، فإن كل كائن ليس من جنس كينونة الدزاين لا بد أن يتصور بوصفه لا معنى، خلوا في ماهيته من المعنى بعامة. بلا معنى لا يدل هنا على
أي تقييم بل يعبر عن تعيين أنطولوجي". (فتحي المسكيني، 2011، ص111)

4. خاتمة:

وخلاصة القول فإن القرن ال21 قرن عرف بقرن الأزمات لما يحمله من أزمات وقعت على كاهل الإنسان وقوضته من قيم، ومعنى، ومصير. ولعل أن علوم الإنسان هي العلم الأول والأهم لتحمل مثل هكذا أزمات والبحث فيها بداية من الفلسفة وعلم النفس ونهاية بالاقتصاد.

فالإنسان لا بد أن يتحول من أذاة الى قيمة وذات تحيا بذاتها دون غاية الغير وإنما لتحقيق التميز، فكوننا ذوات مختلفة فلنا أسلوب عيش مختلف، ونمط حياة مختلف، ومصير مختلف يتجسد حسب براعتنا في انشاءه دون أذية الخير ليتحقق معنى القيم التي وقعت في أزمة في الآونة الأخيرة وهذا ما تنبئ به الدراسات الإنسانية عامة والفلسفة خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- غسان قاسم داوود اللامي، خالد عبد الله إبراهيم العيساوي، (2019)، إدارة الأزمات الأسس والتطبيقات، العراق، دار المنهجية للنشر والتوزيع.
2- ادموند هوسرل، (2008)، أزمة العلوم الأوربية الفينومينولوجيا الترنسندنتالية، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.
3- فتحي المسكيني، (2011)، التفكير بعد هيدغر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل، لبنان، دار جداول للنشر والتوزيع.
4- Jean-François Mattei, (2006) la crise du sens, nantes Éditions Cécile Défaut.
5- Henri maldiney: REGARD/parole/ESPACE ed. l age Homme.